الباب الثالث

معاناة العوانس

٦٠

الفتاة العانس:

مـن البديهـيِّ بطبيعـة الحـال أن تكـون الفتـاةُ نفسـها أكثـرَ أفراد الأسرة معانـاةً مـن مضاعفـات العنوسـة، وعـلى رأسـها المضاعفـات الجسـديَّة والنفسـيَّة، منهـا الشُّـعور بالاضطرابـات والقلـق، والتخـوُّف مـن المسـتقبل، وعـدم الاسـتقرار أو راحـة البـال.

ففـي المجتمعـات العربيَّـة تحديـدًا يعـدُّ الـزواج سُـتْرة للفتـاة، وحفظًـا لكرامـة أسرتهـا؛ ومـن ثَـمَّ فـإن تقدُّمهـا في السـن دون زواج قـد يثـير العديـد مـن الأقاويـل التـي تمـسُّ سـمعة الفتـاة وسـمعة الأسرة، فتشـعر بالدُّونيـة وأنَّهـا أقـلُّ مـن الأخريـات، خاصَّـة عندمـا تَـصْرخ بداخلهـا نـداءاتُ الأنوثـة والأمومـة، وهـو مـا قـد يُدْخِلهـا في دوَّامـات مـن القلـق والاكتئـاب، واليـأس والتشـاؤُم مـن الحيـاة، وربـما حاولـت الفتـاة التغلُّـب عـلى هـذه الدوامـات باللُّجـوء إلى توثيـق صلتهـا بـالله أكثـر، غـير أنَّهـا قـد تغلـو دينيًّـا فتُـمارس دور المفتـي في التحليـل والتَّحريـم.

وقد تسلك الفتاة العانس طريقًا مُغايِراً تماماً للهروب من دوامات القلق واليأس هذه، فتلجأ إلى الابتذال والسُّفور غير الطبيعيِّ في ملابسها وهندامها بطريقةٍ تُثير غرائز الشباب؛ رغبةً في إثبات الذَّات، والشُّعور بأنَّها مرغوبة مثل باقي أَتْرابِها، بل وربما سعَتْ في الوقت ذاته إلى كثرة الاختلاط بالشباب في الأماكن العامَّة، وفي العمل والأسواق، تحت زعم ما يسمَّى بالصداقة.

وشيئًا فشيئًا قد يتحوَّل هذا الابتذالُ والسفور إلى انحلالٍ خلقي، فتندفع الفتاة إلى الانحراف وإقامة علاقاتٍ جنسيَّة سرِّية وعابرةٍ لإشباع رغباتها خارج مؤسَّسة الزواج، أو إلى ما يسمَّى بالزواج العرفي أو السِّري؛ بَيْدَ أنَّها رغم ذلك تظلُّ محرومةً من مشاعر الأمومة، ومن الإحساس بالأمان.

الرجل والعنوسة:

نظرة الرجل إلى العنوسة تختلف عن نظرة المرأة إليها، كما أن وضع الرجل العازب يختلف عن وضع المتزوج، الرجل

العازب لا يعاني من آثار العنوسة كما تعاني منها المرأة، بدليل أنه يستطيع متى شاء أن يتزوج الفتاة التي يريد وفى العمر الذي يريد فهو الطالب وليس المطلوب، بينما الفتاة لا تستطيع ذلك، لأنها محكومة بمدة زمنية معينة تنتهي أو تقل تدريجياً بانتهاء فترة الخصوبة، وهنا قد يقول قائل: لم يعد هناك مشكلة في الخصوبة، فالطب الذي تقدم بشكل كبير، يسمح للمرأة بالإنجاب في أي عمر شاءت؟ ووسائل الإعلام قد أتحفتنا بقصص وأخبار النساء اللواتي أنجبن فوق الخمسين بل وحتى الستين؟

وهذا أمر صحيح في بعض جوابنه، ولقد بث الأمل في قلوب كثير من الفتيات اللواتي يتأخر زواجهن، ولكن ما لا يدركه الكثيرون، أن فترة التبويض لدى المرأة لها عمر معين عندها تنتهي إمكانية الإنجاب الشرعي، وعندها تأتي الخطورة من التحول إلى الجانب غير الشرعي عن طريق استعارة بويضة من امرأة أخرى وطبعاً من لا يملك الحصانة الشرعية يمكن أن يقع في هذا المنزلق الخطير بسهولة.

أما الرجل المتزوج، فالبعض منهم يبادر إلى إيجاد الحلول الفردية، إما عن طريق خيانة زوجته مع إحدى هؤلاء الفتيات اللواتي يوهمهن بأنه غير سعيد مع زوجته، وأنه ينوي أن يتزوجها بعد أن يطلقها، وإما أن يبادر إلى الزواج بأخرى تحت ستار معالجة قضية العنوسة.

ونحن هنا لسنا ضد تعدد الزوجات، ولكننا ضد استغلال البعض لمشاعر الفتيات العازبات من أجل قضاء نزوة عابرة غالباً ما تنتهي بالطلاق بعد أن يعجز المعدد عن التوفيق بين الزوجتين.

إن تعدد الزوجات وإن شكل حلاً لبعض الحالات الأسرية، إلا أن هذا لا ينفي أهمية إيجاد حلول أخرى، مثل مساعدة الشباب على بناء الأسر، والتخفيف من الهجرة، التحفيز على الزواج، التقليل من المهور، وغير ذلك من الأمور التي ينبغي من أجل تحقيقها تضافر الجهود بين الحاكم والمواطن، وبين الأهل والأبناء.

هـذا بالنسـبة للرجـل المتـزوج، أمـا المـرأة المتوجـة فإنهـا بمجـرد أن تتـزوج تنسـى أنهـا كانـت في يـوم مـن الأيـام عزبـاء، وأنهـا مـرت أو كادت أن تمـر بفـترة العنوسـة، لذلـك تتغـير نظرتهـا إلى بنـات جنسـها، وتصبـح إمـا أشـد حـذراً وحرصـاً في تعاملهـا معهـن، وذلـك خوفـاً مـن أن يخطفـن زوجهـا منهـا، وإمـا تصبـح أكثـر نقـدً لهـن بسـبب عـدم قدرتهـن عـلى كبـت مشـاعرهن، وكأن الـزواج هـو نهايـة العـالم!.

الغريـب في هـذا الموضـوع أنـه عـلى الرغـم مـن تفاقـم مشـكلة العنوسـة، فـإن الأصـوات مازالـت ترتفـع في البلـدان الإسـلامية مـن أجـل رفـع سـن الـزواج أو تأخـيره.

٦٦